

تمت سيرة الاستاذ الامام

(افتاء الديار المصرية وخدمة الأوقاف والمحاكم الشرعية)

في ست بقين من المحرم سنة ١٣١٧ (٣ يونيو سنة ١٨٩٩) صدر الامر العالي بناء على قرار مجلس النظائر بتعيين المفتي لاديار المصرية وكان الامير ايده الله بتوفيقه هو الذي اختاره لذلك أولاً . وقد رأته في أول الامر غير مرتاح الى هذا المنصب وإن كان شريفاً لانه ليس فيها أعمال عمومية ولكن الرجل الذي قدر على ان يجعل التحرير في الجريدة الرسمية وسيلة للاصلاح في الحكومة والارشاد للأمة لا يهجز عن التوسل بأكبر منصب شرعي الى الخفصة المليئة العامة وكذلك كان فانه به خدم القضاء الشرعي والأوقاف الاسلامية أجل خدمة ، وزادت في أيام هذا المنصب شهرته وكثر عدد المارنين بفضلته حتى كاد يكون المرجع في الفتوى لجميع مسلمي الأرض وناميك باستفتاء مثل مفتي بنجاب اياه

كان أول عمل جليل له بعد ان صار مفتياً تقتبس المحاكم الشرعية في التطر كله وإظهار جميع ما فيها من الخلل وبيان مناشئه فيها ما كان من نصير الحكومة ومنها ما هو من نصير القضاء والكتاب وقد كتب في ذلك تقريره المشهور فكان مدهشاً للأفكار في دقة بحنه وتشخيصه فاه هذه المحاكم ، ووصفه للملاج الذي لا شفاء بدونه وقد عجب الجبناء من شجاعته إذ خاطب الحكومة رسمياً ببيان نصيرها وطالبها بإزالته ، وقد أهدت الحكومة هذا التقرير على الاعتبار وألفت لجنة في نظارة الحفانية للبحث في تنفيذ ما يتيسر تنفيذه منه بالتدرج

وكان وجهه الله صاحب الرأي المنير في مجلس الأوقاف الأعلى بما كان

يطبق الأعمال على الشرع والمصلحة وأهم خدمة له فيه مشروع المساجد الذي وضعه لسمارة بيوت الله تعالى وإحياء الدين وعلومه وترقية الخطابة وبت الإرشاد في الأمة وقد نوهنا به في المنار من قبل ونشرنا في الجزء الثامن من هذا المجلد ما أقره المجلس من ذلك المشروع ثم صدر الأمر المالي بتوقيف تنفيذه ثم صدر أمر آخر بتنفيذ شيء منه . ومن هذا المشروع تعلم انه رحمه الله تعالى كان يتوسل بكل عمل يدخل فيه الى إحياء العلم وهداية الدين وتربية المسلمين

عمله في مجلس الشورى

في سنة ١٣١٧ - ١٨٩٩ عين عضوا دائما في مجلس الشورى فانتقل المجلس به من حال إلى حال . وكانت الحكومة قلما تحفل برأي المجلس وكان المجلس في نظر الأمة وفي نظر أعضائه الوكلاء عنها غير مضطلم بما أوجد لا جله حتى ان جلساته كانت قلما تتم على أصول نظامه بحضور جميع أعضائه أو معظمهم . فلما دخله فحنت فيه روح جديدة زال بها سوء التفاهم بينه وبين الحكومة فصارت تحفل برأيه وتحمله من الاعتبار ما لم تكن تحمله فتأخذ برأيه فيما يمكن الأخذ به وتبين له سبب ما لم تأخذ به وقوي رجاء أعضائه في خدمتهم وانظم عقد اجتماعهم وعظمت ثقة الأمة بهم وكان أكثر ما ترسله الحكومة الى المجلس لينظر فيه يؤلف له لجنة تحت رئاسة الفقيه لتدقق النظر فيه وتعرض رأيا على المجلس . وكان له رحمه الله الرأي المالي والصوت المسروع في كل مسألة وكل مشروع فكانت تراه في المسائل المالية حاسبا اقتصاديا ، وفي المسائل الادارية اداريا ماهرا ، وفي اللوائح والقوانين قانونيا خبيرا ، وفي الامور الشرعية

إماماً فقيهاً ، وكان المجلس يهد إليه مذكرة الحكومة في الشؤون
القطرية ليكون الحد الاوسط في شكل القياس لتخرج النتيجة في خدمة
البلاد صحيحة

وقد كادت أعمال المجلس تمتل معظم وقته فكنت أنام من ذلك
لاعتيادي ان وقته آمن من أن يتفق في خدمة المجلس فلا أكاد أجد فرصة
الا وأرغب اليه فيها بالتحفيف والاقبال من الاشتغال بعمل المجلس حتى
قلت له مرة ان الحكومة المصرية يشبه ان تكون أعمالها وقوانينها مؤتمة
فهي عرضة للتغيير فرب عمل تنفق فيه أياما طويلة لتقره الحكومة على ما
ترى انها أتمتع بالبلاد ولا تلبث هي بعد ان تقره ان ترجع عنه بعد زمن قصير أو
طويل ويوشك ان تنفق في تحقيق بعض الأمور اليما كثيرة ثم لا يتيسر اقتناع
الحكومة به أو تقتنع بأنه نافع ويعندها مانع من العمل به ولو صرفت مثل
هذه الاوقات في الكتابة والتأليف لكان ماتت كتب هداية لهذه الأمة باقية
ما بقيت الأمة : فقال ان الغرض الاول من العمل في المجلس هو التعاون
مع الاعضاء على الجهد والاهتمام بالبحث في الأمور العامة ومصالح البلاد
وتربية الرأي العام في الأمة ليكون ذلك إعدادا لنفوس طائفة منا لتفصل
الاحكام بالشورى فاذا ارتقت هذه الملكة في الهيئة الحاضرة للمجلس فانها
تنتقل منها الى الهيئة التي تخلفها ويكون ذلك جرثومة من جراثيم الاصلاح
في البلاد. فطلعت من هذا الجواب أنه لا يترك مذهبه في الاصلاح من
طريقة التربية العملية في عمل من أعماله وسيأتي ذكر مذهبه هذا في عمله

حجته عمله في الجمعية الخيرية الاسلامية

يوجد في كل قطر من بلاد المسلمين أفراد تفرقت فيهم الفضائل

الكثيرة التي هي مناط حياة الأمم ولكن يوزعهم شيء الحياة الاجتماعية في هذا العصر هو أهم شيء وعليه يتوقف كل شيء، وهو التعاون على الخدمة العامة والأعمال المشتركة وانك لا تكاد ترى في قطر إسلامي جميات ولا شركات ناجحة يرجى خيرها للأمة الا ما بدأ به مسلمو الهند ومصر في ظل الحرية الانكليزية، ولا يزال كثيره في مهده الطفولية، ولم تنجح في مصر جمعية من الجمعيات الكثيرة التي ألفت فيها بأسماء مختلفة لمقاصد مختلفة مثل نجاح الجمعية الخيرية الإسلامية ولم تصادف جمعية منها ما صادفته هذه الجمعية من الصدمات، التي يعز فيها الصبر والثبات، وكان الفضل الأول في ثباتها ونجاحها للاستاذ الامام أحسن الله جزاءه

أنشئت الجمعية للتعاون على تربية أولاد الفقراء والمساكين من المسلمين وإعانة العاجزين منهم عن الكسب على شقاء الحياة فاتمها أعداء البشر بالسياسة وسموا بها الى ذوي النفوذ والسلطة ولولا سعيه في الدفاع عنها وإقناع أهل الحل والعقد بأنها خيرية محضة ليس من موضوعها ولا مما تقصد اليه شيء سياسي أو سري لفتت رسومها، ثم إنه خدمها بنفسه وبالتعاون مع أخصيائه المؤسسين لها معه كوكيلها وأعضاء ادارتها لهذا العهد خدمة جليلة حتى ارتقت عن طور الطفولة وصار ثباتها مضمونا بحول الله وقوته، ومما اقرده به في خدمتها دعوة الأمراء والوجهاء والأغنياء الى الاشتراك فيها ومساعدتها وتحصيله منهم قيم الاشتراك إذا اقتضت الحال بذلك أسست الجمعية سنة ١٣١٠ وفي سنة ١٣١٨ انتخب رئيسا لها فزاد اجتهاده في خدمتها وكان من ارتقاها في زمن رياسته ان صار إيرادها في السنة الماضية ١٠٣٩٥ جنيها وكان في سنة (١٣١٧) ٤٤٣٠ جنيها وصارت

أطيانها ٣٣٣ فدانا وكانت قبيل ذلك ٢٨٠ فدانا وصارت مدارسها سبعا
وكانت أربعا . على أنه كان يرى أن القائمة الأولى المقصودة بالذات من
الجمعية هي تمويد المسلمين الاجتماع للخير والتعاون على البر والخدمة العامة
وإشمار قلوب الأغنياء عاطفة الرحمة والإحسان بالنفراء كما كان يصرح
بذلك في الاجتماع العام السنوي كل عام فهو فيها عامل بمذهبه في تربية
الأمة كما كان شأنه في غيرها جزاء الله عن هذه الأمة أفضل الجزاء

طبع الكتب النافذة وجسية إحياء العلوم العربية

كان رضي الله عنه يرى أن حياة الأمة بدون حياة لنتها من المحال
وان حياة العلوم العربية بمثل هذه الكتب الازهرية محال وان لا بد الاصلاح
من إحياء كتب أمتنا وكبار علمائنا التي ألت أيام كان العلم حيا في الأمة
فكان يسمى لذلك سميه وبهديه وإسماده طبمنا فبذلك الكتابين الجليلين
الذين هما روح علم البلاغة - أسرار البلاغة ودلائل الاعجاز - للشبخ
عبد القاهر الجرجاني مؤسس علوم البلاغة ولولا تصحيح الفقيه لوما
واستحضاره لنسخهما من الاقطار النائية لما تيسر طبمهما . وفي سنة ١٣١٨
أسست في مصر جمعية خاصة لهذه الخدمة تحت رئاسته سميت (جمعية
إحياء العلوم العربية) كانت فائحة أعمالها طبع كتاب (المخصص) لابن سيده
في اللغة وهو كتاب لا نظير له في باب ولا غناء عنه في إحياء اللغة في هذا
العصر . وقد شرعت بمسده في إحياء مدونة الامام مالك وعني الفقيه
رحمه الله تعالى باستحضار نسخها من تونس وفاس وغيرها من البلاد
ولولاه لما تيسر جمعها كلها ولنا رجاء عظيم في بقاها وحسن خدمتها بهمة
من كان وكيلها وليس لرئاستها بعد الفقيه سواه الا وهو حسن باشا عاصم

مؤلفاته - بحسب تاريخ تأليفها بالتقريب

(١ - الواردات) رسالة في الكلام أو التوحيد على طريقة الصوفية وأسلوبهم وهي أول تأليفه ولعلنا نشرها برمتها في سيرته المطولة فقد كان أعطانا نسخة منها

(٢ - رسالة في وحدة الوجود) وهي رسالة تفتية لم أطلع عليها ولكنه هو الذي أخبرني بها وقال انها ليست بمعنى ما كتب عبد الكريم الجبلي وأمثاله مما هو أقرب الى مذاهب الحلول كالتصراية منه إلى توحيد الاسلام ولكنها بأسلوب آخر وأراه يبين فيها مراتب الوجود وتعددتها من وجه ونظامها العام ووحدتها من وجه آخر ولعلنا نظهر بها ونظمها

(٣ - تاريخ إسماعيل باشا) أخبرني بهذا الكتاب أحد تلامذته الأولين وقال ان عبد الله التديم كان أخذ من التقييد نسخته في أثناء الثورة العراقية ونشر منه فصولا في جريدة الطائف بتصرف أو بغير تصرف ولم أسمع منه رحمه الله تعالى ذكره لهذا الكتاب وكنت أظن أنه لم يصنف شيئا الا وقد أخبرني به لأنه قص علي تاريخه بالتفصيل وكتب إلي شيئا مجملا منه كما علم القراء

(٤ - فلسفة الاجتماع والتاريخ) هو الكتاب الذي ألقاه أيام كان يدرس مقدمة ابن خلدون في مدرسة دار العلوم كما ذكرنا في هذه السيرة وقد فقد هذا الكتاب عند ما عزله توفيق باشا من المدرسة ونفي السيد جمال وأخذت أوراقه وكان طيب الله رآه يقول أنني لو يحفظ هذا الكتاب

من وقع في يده ويدعيه لنفسه ولو بعد موتي لينتفع به الناس (٥ - حاشية عقائد الجلال الدواني) وهي غاية الغايات في علم الكلام

وتحقيق مسائله ونحور الخلاف بين المتكلمين وبيان ماهو انظمي منه وماهو حقيقي وقد كان السيد عمر الخشاب شرح في طبعها ولعلها تم عن قريب (٦ - شرح نهج البلاغة) وهو شهر جدا وقد طبع في بيروت مرتين وفي طرابلس مرة وفي مصر مرة

(٧ - شرح مقامات بديع الزمان الهمداني) وهو مطبوع في بيروت ولم يعرف لغيره شرح لهذه المقامات وقد فرغ منه في ١٦ رمضان سنة ١٣٠٦ (٨ - شرح البصائر النصيرية) في المنطق وهو شرح وجيز أطلق عليه لفظ التعليقات والكتاب عالي الاسلوب وهو من أحسن ما كتب المسلمون في المنطق ولم يسبق لاحد قبله كتابة عليه فيما نعلم وقد قرأه درسا في الجامع الازهر وحضرناه عليه ولعله لا يتسامى أحد الى تدريسه بعده وان كان من الكتب التي قرر مجلس ادارة الازهر تدريسها فيهرسبها الا ان يكون بعض من تلقاه عنه

(٩ - نظام التربية بمصر) رسالة في الطريقة المثلى لتربية المصريين وتعليمهم وهي على إيجازها من أحسن ما كتب وأتقنه وسنتشر في تاريخه (١٠ - رسالة التوحيد) وما أدراك ما رسالة التوحيد هي التي يصدق عليها القول المشهور «لم ينسج ناسج على منوالها ولم تسمح قريحة بتألفها» هي التي يضح أن تعد معجزة من معجزات النبي عليه السلام، وآية من آيات الاسلام، هي التي ينبغي ان تجعل أصل الدعوة الى هذا الدين، ويم تلقينها جميع المسلمين، وقد قلت للاستاذ الامام رضي الله عنه إنه لولا اسم هذه الرسالة وما في أولها من الاصطلاحات الكلامية الوجيزة لكان انتشارها أضعاف ما هو الآن، واعم الانتفاع بها كل مكان، ولكن

البيد ، اذا سمع باسم رسالة التوحيد ، يتوهم انها عقيدة كالسنوية ، أو كالعقائد النسفية ، والقريب قد يأخذ نسخة منها ، فيصرفه ذكر الواجب والممكن والمستحيل عنها ، توهما انها في علم الكلام ، الذي لا يتناوله الا الا العلماء الاعلام ، وقد كان رحمه الله تعالى عازما على بسط الكلام في هذه المقدمات ، وسائر مسائل الآثيات ، وجعل الكلام فيها كالكلام في النبوة ومزايا الاسلام ، موجهها الى العقل والى الوجدان ، لا مجرد تقرير وجيز للبرهان ، وقد قرأها درسا في الأزهر وتبينناها عنه

(١١ - تقرير المحاكم الشرعية) هو على خصوصية موضوعه مفيد حتى نفي القضاة ومستخدمي هذه المحاكم من جميع أهل العلم والادب لاسباب طلاب علم الفقه فإنه يطالبهم من البصيرة في طريقة التحصيل على الوجه الذي ينتفعون به وينضمون مالا يجدونه في سواه وفيه كثير من الفوائد الادارية والاجتماعية والادبية . وأخرج الناس اليه بمه القضاة وكتاب المحاكم المرشون للقضاء والكتابة في هذه المحاكم

(١٢ - الاسلام والنصرانية ، مع العلم والمدنية) وهو مقالات كتبها لجهة المنار ثم جردناها منه وطبعناها على حدتها وسميتها بهذا الاسم باذنه فباعت كتابا مستقلا بناهز مئتي صفحة وقد قدمت نسخ الطبعة الأولى فأعدنا طبعه

(١٣ - تفسير سورة العصر) كتبه لينشر في المنار اجابة لرغبنا ورغبة بعض أهل العلم في مدينة الجزائر الذين حضروا هناك درسه في تفسير السورة وقد كتب في هامش تفسير جزء عم عند تفسير هذه السورة مانعه : «وقد كتبنا تفسيراً لهذه السورة الشريفة نشر وحده بمدان طبع في

من مطبوعة جريدة المنار وهو ما كنا ألقيناه درسا في مدينة الجزائر في شهر جمادى الاولى سنة ١٣٦١ وفيه تفصيل طويل لما أجمنا في هذا التفسير المختصر فن أراد بيانا أوسع ، وتفصيلا أوسع ، فليطلب ذلك التفسير ، فهو فيما أعلم غير مسبوق بنظيره « اها أقول اننا طبعا بالتقطع الصغير ليوضع في الجيب وطبعنا معه ملخص درس الاستاذ الامام في تونس وموضوعه العلوم الاسلامية وأقرب الطرق لتعلمها

(١٤ - تفسير جزء هم) هو على قرب العهد بطبعه أشهر من نار على علم وقد كان رواجها أكثر من رواج سائر كتبه على شدة الرغبة فيها كلها حتى انه قد وزع منه عدة ألوف في عدة شهور وهذا شيء لم يمهده له نظيره في المطبوعات العربية

هذه هي مؤلفاته التامة ولا حاجة هنا لذكر ما بدأ به ولم يتمه وأمام مقالاته التي نشرت قديما وحديثا في الجرائد المصرية وغيرها فهي كثيرة جدا وكلها آيات بينات في العلم والدين والادب تعالقه بها وأعاننا على احياها (السيرة بقية)

باب العقائد

الدين في نظر العقل الصحيح

المقالة الثانية - لصاحب الامضاء

بقية الكلام في النبوة

أليست العقائد الاسلامية أنزما لعقائد وأبدها عن مخالفة العقول والوحيدية في قوة الحجج ومثابة البرهان (أنظر ما تقدم في المقالة الاولى) . أليس في القرآن أصول الدلائل العقلية على صحة هذه العقائد مع الرد على من خالفها أجلى بيان . أليس في العبادات والأوامر والنواهي القرآنية ما يطهر القلب ويصلح النفس والجسم معا وأحوال الدين